مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة

العدد التاسع

1992 م.

أزلام

الأستاذ الساعي علي حسين

الأزلام:

جمع زَلَم بفتحتين وزلم بضم ففتح هو السهم الذي لا ريش له.

والزلم، والسهم، والقدح ألفاظ مترادفة المعاني تدل كلها على قطعة من غصن مشذبة مسواة[1].

وروي أنهم يستعملونها من مواد أخر، فهي حجارة بيضاء، وقيل حصى أملس يضربون به، وقيل حبات النرد (كعاب فارس) وقيل قطع الشطرنج[2].

وربما تخصص بالاستعمال السهم لما يرمى به، والزلم لما يستقسم به، والقداح للميسر ولكن هذا لا ينافي اتحاد معنى هذه الألفاظ لغة.

قال الشاعر:

كما قال الحمار السهم رام لقد جمعت من شتى لأمر

(1) الموسوعة الفقهية (الكويتية) 138/3 والقاموس الإسلامي/ أحمد عطية الله ج 78/1 و 76/3 ط النهضة المصرية.

(2) انظر تفسير الطبري 49/6.

أراك جـديـدة في رأس قـدح ومتن جـلالـة من ريش نسـر[3]

ويقال زلم الغصن، والعصا، والرحى ونحو ذلك إذا هذبها وسواها.

ويقال للرجل القصير الخفيف مزلم، وتوصف المرأة بالمزلمة إذا كانت: (لا يشتكى قصر منها ولا طول!).

ولهذا قال ابن فارس: «الزاي واللام والميم أصل يدل على نحافة ودقة وملاسة وقد يشذّ عنه الشي»[4].

والشعر العربي القديم مليء بالشواهد المؤيدة لهذا المعنى. قال رشيد بن ترميض العنزي:

بـات يقـاسيهـا غـلام كـالـزلم ليس بـراعي إبـل ولا غـنم[5]

وذو الرمة يصف الإبل وشدة سيرها وتفريق أخفافها للحصى فيقول:

تفض الحصى عن مجمرات وقيعة كـأرحاء رقـد زلمتهـا المنـاقـر[6]

وفي هذا المعنى قال المزرد بن ضرار الذبياني يصف جواده وأنه ضامر لم يرهله الشحم فأصبحت أضلاعه مستوية كما تسوى الأزلام أو القدح:

لـه طحـر عـوج كـأن مضيغهـا قـداح بـراهـا صـانـع الكف نـابـل
وصم الحـوامي ما يبـالي إذا جـرى أو عث نقـاعنـت لـه أم جنـادل[7]

والمرقش الأكبر يصف عدو ناقته مشبهاً لذلك بعدو ثور وحشي أفرد من قطيعه وهو في خفته واستوائه كالسهم المشذب المسوى:

تغـدو إذا حـرك مجـدافهـا عـدو ربـاع مفـرد كـالـزلم[8]

---

(3) البيان والتبيين للجاحظ ج 2 ص 353 ت ع هارون ط دار الفكر.
(4) معجم مقاييس اللغة ت ع هارون ج 3 ص 18 ط الحلبي.
(5) تهذيب اللغة للأزهري/ ت البردوني ج 13 219 ط الدار المصرية للتأليف ولسان العرب.
(6) انظر تهذيب إصلاح المنطق للتبريزي ص 885 وما بعدها ولسان العرب 269/12.
(7) المفضليات ص 96.
(8) نفس المصدر ص 230.

وتكرر تشبيه الوعل بالسهم المزلم في شعر هذا الشاعر حيث قال:

لـو كـان حيّ نـاجيـاً لنجـا من يـومـه المـزلم الأعصم[9]

والزلمة هنة كالقرط معلقة في رقبة الشاة فإذا كانت في أذنها فهي مزنمة بالنون، وتوصف أظلاف البقرة الوحشية بالمزلمة على التشبيُه، قال لبيد:

حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت بكـرت تـزل عن الثـرى أزلامهـا

ويقال للدهر الأزلم الجذع لأن إصابته نافذة كإصـابة السهم المشـذب المقوم، واستعاره شاعر لكسرى حيث قال:

يـا قوم بيضتكم لا تفضخن بهـا إني أخاف عليها الأزلم الجذعا[10]

وبهذا يتضح أن المادة تدور حول معنى التسوية والخفة والرشاقة، ولكن هذا المعنى اللغوي توارى خلف معنى اصطلاحي نقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية حيث أصبحت كلمة أزلام تطلق على مجموعة من السهام غير المراشة وضعت تحت حراسة الكهنة في جوف الكعبة أمام تمثال الصنم هبل، وكتبوا على كل سهم عبارة خاصة تناسب الغرض المحتكم من أجله وكانوا يلجؤون إليها لتحكم في بعض ما يعرض لهم من مشكلات الحياة التي يرون أن حلها يحتاج إلى نجدة قضائية من الغيب.

فإذا شكوا في نسب طفل كان لهم من السهام صريح وملصق فإذا خرج الأول ألحقوه، وإذا خرج الثاني دفعوه.

ونظراً لتحريم هذا العمل في الإسلام فإن المعلومات عنه ناقصة مبتورة فابن الكلبي يذكر منها صريح وملصق، وقدح على الميت وقدح على النكاح وثلاثة لم تفسر لي (كما قال)[11].

---

(9) نفس المصدر ص 238.

(10) شمس العلوم لنشوان الحميري 324/2.

(11) الأصنام/ هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق أحمد زكي باشا ص 18 ط دار الكتب المصرية 1924.

وابن هشام يذكر العبارات التي تكتب على كل سهم من السبعة وهي:

1 ـ العقل (دفع دية القتيل).

2 ـ نعم.

3 ـ لا.

4 ـ منكم.

5 ـ ملصق.

6 ـ من غيركم.

7 ـ المياه[12].

ويبدو أن ما يكتب ليس ثابتاً وإنما يخضع للمناسبة حيث ورد في قصة سراقة الآتي ذكرها سهم كتب عليه: «لا يضره» مع أنهم لم يذكروا هذه العبارة.

وبالإضافة إلى هذه الأزلام المحاطة بهالة من القداسة الرسمية لتستشار في المهمات الكبيرة كان بعض الأشخاص يتخذون لأنفسهم أزلاماً يستشيرونها في أمورهم الخاصة، وهي ثلاثة أحدها يكتبون عليه افعل ويسمونه الآمر، والثاني لا تفعل ويسمونه الناهي والثالث غفل لا كتابة عليه فإذا خرج أعاد الكرة من جديد.

وقد لجأ إليها سراقة حينما أراد ملاحقة الرسول ﷺ وأبي بكر عند هجرتهما للمدينة[13].

وهذا المسلك يمثل الاستسلام الذي يضعف الشخصية ويقضي على الإرادة اتكالاً على العناية الغيبية التي تخبر عنها تمتمات الكهان وحركات الطير وخطوط الرمل ووقع الحصى.

وقد رفض فريق من الشعراء هذا الاعتقاد ومنهم لبيد إذ قال:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا الزاجرات الطير ما الله صانع

(12) انظر السيرة لابن هشام بتحقيق السقا وآخرون ج 1 ص 152 ط 2 مصطفى البابي الحلبي (1955 م) وتاريخ الطبري م 1 ص 437 وما بعدها ط 1 مؤسسة عز الدين.

(13) سيرة ابن هشام القسم الأول ص 489.

ومدح الحطيئة أبا موسى الأشعري بقوله:

لم يزجر الطير إذ مرت به سنحاً ولا يفيض على قسم بأزلام[14]

وقال طرفة متهكماً على مقتسم بها:

أخذ الأزلام مقتسما فأتى أغواهما زلمه

وقد سجل التاريخ مجموعة حوادث كان القرار النهائي فيها استجابة لما أشارت به الأزلام ومن أشهرها قصة نذر عبد المطلب ـ جد النبي ﷺ ـ أن يذبح أحد أبنائه قرباناً للآلهة إن رزق بعشرة أبناء وقد خرج السهم على عبد الله والد الرسول ثم فداؤه بالإبل والقصة أشهر من أن تعاد[15].

وأحياناً تكون مصيبة الشخص أكبر من أن تهدى منها نواهي الأزلام فيتمرد الشخص على نصائحها، ومن حوادث هذا النوع: ما روي أن ذا الخلصة ـ أحد أصنامهم ـ كانت أمامه أزلام يحرسها كاهن فأتاه رجل ـ قيل هو امرؤ القيس ـ يستشيره في الأخذ بثأر أبيه، فخرج السهم الناهي ـ لا تفعل ـ فضرب القداح وقال:

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا[16]

وكما كان يلجأ إليها لمعرفة أمر يتلقونه من الغيب في نظرهم كانوا يلجؤون إليها في حالة المقامرة «المَيسر» وذلك أنهم يشترون الجزور بثمن معين يضمنونه لصاحبها بحيث يدفعه من تخرج السهام بإلزامه بالدفع.

ومن هذا ما ذكره سلامة بن جندل مفتخراً بسخائهم في دفع أثمان عالية للنوق الكبيرة التي تشترى للميسر إذ قال:

قد يسعد الجار والضيف الغريب بنا والسائلون ونغلي ميسر النيب[17]

---

(14) لسان العرب 12/269.

(15) انظر المصدرين السابقين.

(16) الأصنام لابن الكلبي ص 35.

(17) المفضليات 120.

وأبو ذؤيب الهذلي يصور سيطرة حمار وحش على أتنه بأنه يشبه لاعب القمار الذي يضم إليه قداح الميسر إذ قال:

وكـأنـهـن ربـابـة وكـأنـه يسر يفيض على القداح ويصدع[18]

وسهام الميسر أحد عشر سهماً منها سبعة لها حظوظ وأربعة غفل، والأول من السهام: الفذ، وفيه علامة واحدة وله نصيب وعليه نصيب.

الثاني: التوأم، فيه علامتان وله نصيبان وعليه نصيبان.

الثالث: الرقيب.

الرابع: الحلس.

الخامس: النافر والنافس أيضاً.

السادس: المسبل.

السابع: المعلى ولكل منها علامات وله حصص وعليه غرم بحسب ترتيب منزلته، والمعلى أفضلها ولهذا يقولون: له القدح المعلى في هذا الميدان.

وبهذا تكون مجموعة الفروض ثمانية وعشرين فرضاً والجزور تقسم كذلك.

أما الأغفال فتزداد لتكثير العدد على الذي يجيلها فلا يجد إلى الميل مع أحد سبيلاً، فهي لا غنم لها ولا غرم عليها.

وهي المصدر والسفيح والمضعف والمنيح[19].

والذي استطعت العثور عليه منها في الشعر العربي السفيح في قول طرفة:

وجـامـل خـوع مـن نـيـه زجر المعلى أصلاً والسفيح[20]

والمنيح في شعر عروة بن الورد حين ذكر الصعلوك الذي يغير على أعدائه فيبادرون بزجره كما يزجرون القدح الذي لا نصيب له إذ قال:

---

(18) نفس المصدر 424.

(19) انظر تفسير القرطبي ج 1 ص 866 ط كتاب الشعب.

(20) لسان العرب ج 2 ص 486 ط صادر.

مـطلاً على أعدائـه يزجـرونـه بساحتهم زجر المنيح المشهر[21]

قال ابن قتيبة «المنيح قدح مستعار وهو أحد الأغفال فإذا خرج قالوا رد رد ليس لأحد»[22].

موقف الإسلام منها:

أنزل الله القرآن الكريم علاجاً لما في المجتمع من أمراض وآفات قاتلة ضربت جذورها في جميع جوانب الحياة سواء منها المادي والروحي فحرم الميسر لأنه يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل.

وحرم محاولة استكشاف الغيب بـالأزلام لأن ذلك يلغي إرادة الإنسـان واختياره اعتماداً على مصادفات لا أساس لها من علم ودين.

وقد ورد ذكر الميسر ثلاث مرات في القرآن الكريم وورد ذكر الأزلام مرتين، وتأكد تحريمهما لـورودهما ضمن محـرمات مجمـع عليها معلومـة من الدين بالضرورة.

اقرأ الآيات 219 البقرة، و 3 و 90 و 91 المائدة، وحينما فتح الرسول ﷺ مكة طاف بالبيت ودخل الكعبة فرأى صور الملائكة وإبراهيم وفي يده الأزلام يستقسم بها فقال: «قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام ثم أمر بتلك الصور فطمست»[23].

---

(21) ديوان عروة بشرح ابن السكيت ت الملوحي ص 72 ط وزارة الثقافة دمشق 1966 م.

(22) المعاني الكبير/ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ج 3 ص 1155 ط 1/ 1984 م دار الكتب العلمية.

(23) المختصر في أخبار البشر/ عماد الدين إسماعيل أبو الفداء ج 1 ص 144 ط دار المعرفة بيروت.